الكاتب الجزائري أنور بن مالك لـ"المساء":

الجزائر دائمة الحضور في رواياتي

أنور بن مالك كاتب جزائري مقيم بفرنسا، دكتوراه دولة في الاحتمالات والاحصاء، مزج بين التخصّص العلمي والحقل الأدبي، فأنتج أعمالا مختلفة المواضيع في مقدّمتها روايات عديدة، إن كانت قد حملتنا إلى بقاع مختلفة من العالم، إلاّ أنّها تجذّرت من بلاد الأصل "الجزائر"، من بينها "الحب المتفرّق"، "ابن الشعب العتيق" و"الحب ذئب"، علاوة على مجموعات شعرية ومقالات صحفية، وهو حاليا يحضّر لرواية جديدة وسيشرع في اقتباس روايته "ابن الشعب العتيق" سينمائيا يشرف عليه مخرج أسترالي، وفي خضم إبداعه التقت به "المساء" وأجرت معه هذا الحوار...

■ حاورته: لطيفة داريب

■ هل تعتبر نفسك من كتاب المهجر، وهل الكتابة في بلاد الغير تختلف جذريا عن الكتابة في الوطن؟

●● أنا لا أعتبر نفسي من كتاب المهجر، ربّما في بداية مسيرتي حينما كنت أكتب والجزائري ابن بلدي لا يقرأ لي، واليوم استطعت تحقيق التواصل بيني وبين جمهوري في الجزائر، وهذا راجع إلى دور الصحافة وأيضا إلى بداية نشر بعض كتبي في بلدي وترجمة كتابين إلى اللغة العربية، وهما "ابن الشعب العتيق" و"الحب المتفرّق"، وفي هذا السياق أرجو أن تتمّ ترجمة روايتي الغالية على قلبي إلى اللغة العربية، وهي "الحب ذئب" التي تتحدّث عن القضية الفلسطينية، وهي قضية تمزّق أعماقي بحق، هذه الرواية حتى وإن كان لها صدى في فرنسا مثلا، فإنه لن يكون بنفس القوّة عندما يتعلّق الأمر بالجمهور الذي يحمل القضية في قلبه، هذا الأمر مهم جدا بالنسبة لي.

■ أين هو محل الجزائر من الإعراب في روايات أنور بن مالك؟

●● الجزائر موجودة دائما في رواياتي، رغم أنّني أحيانا أحس ببعدي عن بلدي، وأنا في الجزائر أكثر مما أنا في فرنسا، حيث أستقي معلومات كثيرة عن بلدي من الكتب التي تتحدّث عنها، علاوة على أنّني محاط بالكثير من أبناء جلدتي، واعتقد أنّه يستحسن للكاتب في فترة زمنية معينة أن يهجر مجتمعه حتى يتمكّن من رؤيته بطريقة أفضل، ويدرك ما هو عالمي وما هو خصوصي فيه، وهذا يتأتّى بالرؤية الخارجية.

من جهة أخرى، عندما تكون في بلد غريب تريد أن تعبّر عن ألم فراق بلدك للآخرين بالكتابة، فمثلا عندما كتبت "الحب المتفرق" أردت أن أقول للغرب أنّ الجزائري مثله مثل أيّ كان في العالم، يحب ويكره وله نفس الرغبات، ففي فترة سابقة كانت الجزائر تعني بالنسبة للغرب الموت والعنف وهذه ليست حقيقة بالطبع، لذلك عندما قرأ الأمريكي والبلجيكي وآخرون كتابي اندهشوا لمعرفة أنّ الجزائري مثله مثل الآخرين، الحقيقة أنّه عندما أفكر في دارفور ولعدم معرفتي بالمنطقة، فإنّ خيالي سيأخذني إلى صور العنف والمجاعة وأتمنى أنهم أناس كالآخرين يحلمون ويجتازون بمراحل العنان وأخرى مليئة بالخوف وغيرها، وهنا يجب أن يكتب كاتب عن دارفور ليبين أنّ سكان هذه المنطقة لا يختلفون عن الغير.

بالمقابل، أريد من خلال كتاباتي أن أوضّح أنّ الجزائري الذي يعيش في الجزائر والفنزويلي الذي يعيش في فنزويلا والاسترالي الذي يعيش في استراليا، أناس كغيرهم، لهذا فالمهجر أحيانا يكون بمثابة صفعة، في البداية لا تفهمها، لأنه ليس من السهل أن تذهب إلى بلد أجنبي وكلّ ما فيه غريب عنك وعن تقاليدك، لكنّني تعلّمت الآن أن أنقل الجزائر معي في كتبي وهو ليس بالأمر السهل، لكن أرى أنّ المساهمة الصغيرة جدا التي يمكنني أن أجلبها تكمن في كتابة روايات وهو ما أفعله.. ورغم أنّني أقطن في الخارج إلاّ أنّني حافظت على تواصلي مع الجزائر، فعائلتي تسكن في البلد، وأشعر بسعادة غامرة عندما يعتبرني الجزائريون من كتّابهم، أبعد من ذلك، فقد وضعت في لائحة تضمّ الكتّاب الأكثر موهبة وشهرة مثل محمد ديب.. الجزائر دائما حاضرة في أعمالي فلا أستطيع أن لا أكتب عن بلدي، فهو البلد الذي أعرفه أكثر.

■ تطرقت إلى العنف في بعض كتاباتك، فهل من الضروري تناول هذا الجانب، وماذا عن الجوانب الأخرى لحياة الإنسان والجزائري على وجه الخصوص؟

●● أسوأ شيء هو أن ينسى التاريخ، فالناس الذين ماتوا خاصة الشرفاء منهم، لا يجب أن ننساهم، قيل لي في حصة إذاعية أنّ المثقفين لم يقوموا بأيّ شيء لأجل البلد، وأحببت وماذا عن كل المثقفين والفنانين والصحفيين الذين ماتوا؟ يجب التكلّم عن العنف لأنه موجود، وفي نفس الوقت من الضروري التطرق إلى المواضيع الأخرى والتأكيد على أنّ هناك أناس تحطّمت حياتهم بفعل العنف ومع ذلك فقد واصلوا المسيرة بقوة.. فالتكلّم عن العنف خاصة ضد الأطفال واجب للذاكرة، ولكن كما ذكرت سابقا لا يجب أن تكون فقط حول العنف.. كنت أريد أن أكتب روايات رومانسية، لكن أظنّ أنّ ذلك راجع إلى جانبي العلمي، أنا مجبر على سرد الحقائق، وبالمقابل الجزائر دائما تمثّل إحدى شخصيات روايتي، والجزائر عاشت مرحلة رهيبة تتمثّل في الاستعمار الفرنسي الذي كان يحقّ بشعا في شتى الأوجه، ومن ثم عشنا مرحلة الإرهاب، فالتاريخ الجزائري فيه العنف ولكن لا يوجد إلاّ هذا.

■ هل تعتبر نفسك مدافعا عن المنسيين؟

●● لا أرى نفسي مدافعا عنهم ولكنني أشرت في مقدمة روايتي "الحب المتفرّق"، أنّني أكتب لأجل الناس الذين ليس لهم الحق في الكلام، الذين لا يتكلّمون، إمّا لأنّ الكلمة لم تمنح لهم، أو لأنّ ثقافتهم لا تسمح لهم بذلك أو ليست لهم إمكانية الوصول إلى أماكن الكلام، الخ... لا أحتمل الظلم ضدّ الضعفاء والأطفال، ربما هذا مرض، نعم لا أحتمل.

■ هل تعتقد أنّ الكاتب الجزائري مناضل وذو قضية، أم أنّه في غير حاجة إلى ذلك؟

●● هو في غير حاجة إلى ذلك، ولكن يدفع لأن يكون كذلك، مثلا تكتب شيئا وتجد نفسك تتجادل مع أناس لا يهتمّون بالأدب ويتكلّمون في مواضيع أخرى كالعنف السياسي، فالكاتب العربي رجل أو امرأة حين يكتب يصبح مشبوها، الكتابة تتحوّل إلى فعل سياسي وأنا لا أريد ذلك، فقد اخترت الكتابة وليس السياسة، إذن بما أنّ الغير يرون أنّ الكتابة فعل سياسي يجد الكاتب نفسه في صراع لا يخصّه في أغلب الأحيان، لأنّني ما كنت أريد فعله هو كتابة عمل فيه الرغبة في أن يُقرأ، نعم هو ليس دور الكاتب، بل يفرض عليه فرضا، وأنا آخذه بدون رغبة.

■ هل هناك "طابوهات" في الكتابة؟

●● كلّنا لدينا "طابوهات"، وأحد أدوار الكاتب هو محاولة رفعها بطريقة جمالية، العالم العربي مليء بـ"الطابوهات"، "الأوّل ديني وهو متفرع، فالشيعة لا يفكّرون مثل السنة، والدين واحد، يجب معرفة تناول المواضيع الحسّاسة بالكثير من الاحتياطات، ويجب أن يفهم بأنّ النص الذي يكتب بالعربية ليست له قداسة النص القرآني، ولكن نحن العرب تربينا ونحن نقدّر كثيرا اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، فأنا عندما كنت صغيرا وأجد قصاصة باللغة العربية على الأرض، أرفعها ولا أتركها على الأرض مثل الخبز.. اللغة العربية جميلة فلنستعمل في الروايات وتصبح أكثر جمالا، هناك "طابوها" آخر يتعلّق بالجانب السياسي، ففي العالم العربي لا يمكن أن ننتقد السلطة وهو أمر يعود إلى القديم، لأنّه القائد السياسي كان في الكثير من الأحيان هو نفسه القائد الديني، وما يزال في أذهان الناس أنّه ليس لدينا الحقّ في نقد السلطة.. صدام حسين كان جلاّد شعبه، ومع ذلك تنبهر به الشعوب العربية، فلدينا انبهار بالقوّة، والكلّ يحاول أن يجد أسبابا وأعذارا لذلك، هذا أيضا أعتبره "طابوها"، وفي الجزائر هذا "الطابو" موجود ولكن بصفة قليلة، حيث يمكن لنا أن ننتقد بطريقة قاسية الرئيس من دون أن نجازف بحياتنا، وتبقى بعض المواضيع التي لا يمكن المساس بها، البنية السرية للسلطة والأسرار العسكرية. وفي هذا السياق، لا يجب أن يضع الكاتب صوب عينيه هدف تحطيم "الطابوهات"، بل المهم هو أن يسرد حكاية لها معنى، والأهم في القضية أن يقرأ القارئ صفحة من الرواية وتكون لديه الرغبة في أن يقلب الصفحة وأن يواصل القراءة إلى النهاية، فإذا أحسّ بالملل يكون الكاتب قد أخفق في مهمته حتى وإن تناول موضوعا مهما، فالأدب لا يهتم بالنوايا الحسنة، بل النتيجة هي المهمة، أنا عندما أكتب لا أقول أنّني ساكسر "الطابوهات" أي ليس هدفي الأوّل، رغم أنّني أحب كسرها، بل أكتب حكاية وإذا كانت تحتاج إلى التطرّق إلى "طابو" أقوم بذلك، يقول لي الكثيرون "واش ادك؟".. من مهنة الروائي التدخّل في مواضيع لا تخصّه.

■ تنتقل في رواياتك إلى عوالم مختلفة وأحيانا بعيدة، فهل يرجع ذلك إلى حبك للتنويع أم للتميز؟

●● أرى أنّ الجزائري ليس محكوما عليه المكوث في بلده، نحن الجزائريون لدينا العادة في أن نظلّ قيما بيننا، وأنا أرفض ذلك، فالجزائري له الحق في الجزائر بلده وله الحق في باقي بقاع العالم، بالنسبة لي يمتلك العالم والكوكب، بالمقابل الحياة فاجعة، فالإنسان يولد ليموت يوما ما، إذن كيف ستكون حياته لو أضفنا إليها حواجز اصطناعية ونقول أنّه ليست لك علاقة بهذه المنطقة من العالم ولا يجب أن تهتم بها؟، سيكون هذا الأمر محزنا، أنا لا أبحث عن التميّز، بل على العمق، وأذكر كاتبا جزائريا قال لي ما الذي أخذك إلى استراليا وتتكلّم عن سكانها الأصليين، وهذا في كتابي "ابن الشعب العتيق"، وكأنّ السكان الأصليون لأستراليا لا يهمون بأيّ شيء الجزائريين.

■ ولكن لماذا هذا الاهتمام بالآخرين، ألا تكتفي بما يتعلق ببلدك؟

●● ولدت في المغرب، فأمي مغربية وأبي جزائري، إذن منذ بداية حياتي كان هناك بلدان، ولدي جدة كانت في سيرك تسافر كثيرا، ومنذ صغري كنت أقول أنّني مرتبط بالعالم وأنّ كلّ ما في العالم يخصّني حتى وإن لم أسافر في صغري، علاوة على قراءاتي الكثيرة للروايات، وبالنسبة لي لا أعتبر السكان الأصليين لأستراليا غرباء عني فهم بشر مثلي، لا أريد أن يحصر الجزائري نفسه في بلده الجزائر.. نعم الجزائر بلد كبير بتاريخ كبير ورائع، لدينا الحق فيه ولدينا الحق أيضا في باقي العالم، يمكن أن نحب البلاد ونحب البلدان الأخرى.

■ وفي هذا السياق، في أي خانة تصنّف نفسك، كاتب جزائري يكتب باللغة الفرنسية أم كاتب لا حدود له؟

●● لست كاتبا جزائريا فحسب، ولا كاتبا يكتب باللغة الفرنسية فحسب.. لا أحب أن أحصر نفسي في خانة، أنا كاتب وفقط، أنا جزائري من جهة وكاتب من جهة أخرى، أنا لا أقرأ لكاتب جزائري لأنّه كاتب جزائري، بل لأنّني مهتم بما يكتب ونفس الشيء بالنسبة لقراءاتي الأخرى، فالتاريخ عمل على أن أتقن الفرنسية أكثر من العربية وكنت دائما أريد أن أكتب، وفي هذا لست مع الكاتب الجزائري الذي قال أنّ لغة بلدي هي العربية إذن سأتوقف عن الكتابة.. هذا خطأ، نحن الكتّاب بالعربية والفرنسية قليلون كمبيشة، أنا عندما أفكر في صديقي وأسيني الأعرج لا أفكر فيه ككاتب يكتب باللغة العربية، بل ككاتب، لا أتّفق أن يغلق الكاتب عن نفسه في خانة محدودة، لا أريد أن أكون ضمن نادي الكتاب الفرانكفونيين، لا يقال عن كاتب فرنسي أنّه كاتب فرانكفوني، ولكن يقال عنا نحن أنّنا فرانكفونيون.. لست كاتبا فرانكفونيا..

أنا كاتب نعم، أنا جزائري وكاتب، ولست كاتبا عالميا، أنا كاتب ينطلق من جذور محدّدة، هذا صحيح، ولكنّني أكتب عن فن، فالكاتب غارسيا ماركيز المتحصّل على جائزة نوبل في الآداب تكلّم عن قرية صغيرة، ولكن كتابته عالمية لأنّها متعلّقة بالإنسان، فعندما أقرأ هذه القصة أرى أنّ فيها مشاكل إنسان، في هذا المعنى أريد أن أوضّح أنّه ليس لأنّنا نكتب عن الدول الأخرى نصبح عالميين، بل لأنّنا نتكلّم عن بلدنا الخاص ونعتبره جزءا من العالم، أنا الآن في مرحلة التعلّم وكلّ حياتي ستكون مرحلة تعلّم ومن الصعب أن يكون أيا كان كاتبا، إذن فلا جدوى أن ندخل في متاهات أخرى فيما يتعلّق بهذا السؤال، هل يجب أن يكون الكاتب محليا أم عالميا؟ هذا النقاش مغلوط، المهم الكتابة كيفما كانت اللغة، ومن بين أجمل الكتب التي قرأتها يوم أطول من القرن للكاتب تشينغيز أيتماتوف، هو ترجمة لكتاب كتب بلغة كرغيز لبلد صغير جدا، فكلّ الناس في كلّ بقاع العالم يعيشون نفس الفاجعة الحياة والموت، ويواجهون نفس المشاكل ويحملون أحاسيس متشابهة.

الكاتب الجزائري أنور بن مالك

■ يقال أنّه حتى ينشر الكاتب الجزائري في فرنسا، يجب أن تكون بعض الشروط متوفرة فيه مثل سب البلاد مثلا، ما رأيك؟

●● أؤكد أنّه لو ما قيل صحيح لكتب الآلاف من الجزائريين، صعب كثيرا أن ينشر لك، فبلد كفرنسا لديه الآلاف من الكتب الصادرة سنويا، هل تظنّين أنّه لو قال شخص ما للناشر ساكون "حركيا" وانتقد البلد، هل ستنشرون لي؟، من يعتقد ذلك هو حقا الذي لا يعرف كيف يسير السوق، أمّا عني فقد تمكّنت من نشر كتبي بالعناد، أنا عنيد، بل عنيد جدا، عندما كتبت رواية "الحب المتفرّق" سحبت 30 نسخة وأرسلتها إلى الناشرين وكان ردّ معظمهم الرفض، إلاّ أنّ كتابي نشر بعد جهد جهيد، هذا الكلام تافه وليس حقيقة.

■ لماذا يتعلّق القارئ الجزائري بالكتابة الواقعية دون الخيالية؟

●● لأنّه في الوضع الراهن، الجزائري يوجد في وضع لا يفهمه ويحتاج إلى تفسيرات، بالنسبة له الحقيقة هي الواقع، يجب أن تنشر في الجزائر الكتب التي تنشر في الخارج، حتى يألف الناس الكتب المختلفة، ويختاروا ما يناسبهم، فلا يجب أن تكون وجهة نظر واحدة، الرواية نجاحها يكون عندما تكتب عن شخصية لا تفكر مثلك ومع ذلك تعجبك لأنّك بذلك تعيش تجربة أخرى، فالأدب هو سلاح استراتيجي لتعلّم التسامح.. ومجتمعنا محتاج إلى ذلك.

■ ماذا عن مشاريع أنور بن مالك؟

●● أنا الآن بصدد إنهاء روايتي الجديدة التي ستصدر في سبتمبر 2009، والجزائر حاضرة بقوّة في هذا العمل الجديد، من دون أن أنسى تساؤلات كثيرة أطرحها، رغم علمي أنّني لن أجد الأجوبة، والإنسان هكذا دائما يطرح الأسئلة، والروائي أكثر، لأنّها طبيعة عمله وحاجة لا يمكن له أن يستغني عنها، لديّ أيضا منتوج أدبي يتمثّل في مجموعة من مقالاتي ستصدر ضمن كتاب في الدورة القادمة لمعرض الجزائر الدولي للكتاب، وهناك مشروع فيلم حول روايتي "ابن الشعب العتيق" من إنتاج فرنسي وإخراج أسترالي، وسيكون من بين الممثلين جزائريون لم تحدّد أسماؤهم بعد، والمشروع الذي سينجز إن شاء الله، ضخم ويتطلّب الكثير من الأموال.

67 فيلما مرشحا لجائزة أوسكار الفيلم الأجنبي لعام 2009

تقدّم عدد قياسي من 67 فيلما للفوز بجائزة أوسكار أفضل فيلم أجنبي، كما أعلن مؤخرا في هوليوود، ويشارك الأردن للمرة الأولى في المسابقة، التي تنظمها أكاديمية الفنون والعلوم السينمائية منذ 1929. بفيلم "كابتن أبو رائد" للمخرج أمين مطالقة، الذي يتحدّث عن عامل نظافة في مطار الملكة علياء، يعثر على قبعة طيار في سلة مهملات فيرتديها ويعود إلى حارته الفقيرة، حيث يعتقد الأطفال أنه طيار ويطلبون منه أن يروي لهم أسفاره حول العالم... ويشارك 63 بلدا ومنطقة في 2008 في المسابقة التي تحمل اسم "أفضل فيلم باللغة الأجنبية"، أي غير الانكليزية. ونال الجائزة العام الماضي الفيلم النمساوي "المزورون" عن تزوير العملة في معسكر اعتقال خلال الحرب العالمية الثانية، ويمثل فرنسا فيلم "بين الجدران" للمخرج لوران كانتي الفائز بالسعفة الذهبية في مهرجان كان الصيف الماضي، وإيطاليا غومورا لماتيو غارونى عن مافيا نابولي والحائز جائزة لجنة التحكيم في كان، وتركيا فيلم "القرود الثلاثة" للمخرج نوري بيلجي سيلان. وتشارك من إفريقيا أربعة بلدان هي جنوب إفريقيا، الجزائر، مصر والمغرب، ويمثل أفغانستان "حرب الأفيون" لصديق برماك مخرج فيلم "أسامة" عام 2004، ويمثل إيران "أغنية السنونو" لماجد مجيدي، وتشارك إسرائيل بفيلم "فالس مع بشير" لاري فولمان عن الاجتياح الإسرائيلي للبنان في 1982. ويشارك لبنان بفيلم "تحت القنابل" لفيليب عرقتنجي الذي يصوّر مأساة عائلية على خلفية الحرب الإسرائيلية على لبنان في صيف 2006. ومن الشرق الأوسط أيضا، يشارك من فلسطين "الملح والبحر" لآن ماري جاسر وهو إنتاج فرنسي. فلسطيني حول ذاكرة اللاجئين، ويمثل ألمانيا فيلم تاريخي وسياسي بعنوان "بادر ماينهوف" للمخرج أولي إيدل عن جماعة الجيش الأحمر الألمانية اليسارية المتطرفة التي نشطت في السبعينيات.

تعلن الترشيحات لجوائز الأوسكار في 22 يناير في بيفرلي هيلز في كاليفورنيا غرب الولايات المتحدة حيث مقر الأكاديمية، أمّا الحفل فينظم في 22 فبراير في مسرح كودك في هوليوود المقر التاريخي للسينما في شمال غرب لوس أنجلس، وفازت إيطاليا بجائزة الفيلم الأجنبي عشر مرات وفرنسا تسع مرات وإسبانيا أربع مرات، ولكن آخر فوز لفرنسا كان في 1993 مع "الهند الصينية". (و.أ.ف)